العبر والأطايب

من سيرة الإمام

محمد بن عبد الوهاب

للشيخ



(تقبله الله)



العبير والأطياب

من سيرة الإمام

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى



للشيخ

تركي بن مبارك البنعلي

(تقبله الله)

إعداد وتنسيق :



---

(١) الكتاب عبارة عن تفريغ لمحاضرة ألقاها فضيلة الشيخ المجاهد تركي بن مبارك البنعلي (تقبله الله) .


بسم الله الرحمن الرحيم

مُحَمَّدُ بْنُ عَابِدِ الوَهَّابِ *** مُجَدِّدُ الدِّيْنِ بِلَا اِرْتِيَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ تركي بن مبارك البنعلي (تقبله الله) :

الحمد لله الغفَّار والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ المختار وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وعلى من تمسَّك بهُداهم وعلى نهجهم سار، أمَّا بعدُ :

فقد روي عن السُّفيانيين ، سفيان بن عُيينة وسفيان الثَّوري رحمهم الله أنَّهما قالا : بذكر الصَّالحين تتنزَّلُ الرَّحمة .

وروي عن معبَّد بن يونس أنَّه قال : لم أرى للقلوب مثل ذكر الصَّالحين .

ونحن في هذا المجلس ، في هذا المسجد نتكلَّم أو نحبُّ أنْ نتكلَّم عن عالمٍ من العلماء ، فقيهٍ من الفقهاء ، نبيلٍ من النُّبلاء ، نتكلَّم عن صالحٍ من الصَّالحين ، نتكلَّم عن إمامٍ من الأئمَّةِ الميامين ، ألا وهو الإمام شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله .



هذا الرَّجل الَّذي كُذِبَ عليه كثيراً ، وافتري عليه كثيراً ، وطُعن فيه ليلَ نهارٍ في شتَّى القُرى والأمصار ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله .

لمَّا أتى ذلك الرَّجل لأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها وأخبرها بأنَّ ثَمَّ أُناسٌ يتكلَّمون في الشَّيخين ، في أبي بكرٍ وعمر ، فقالت : أولئك قومٌ - تعني أبا بكرٍ وعمرَ- قد انتهت أعمالهم الصَّالحة بوفاتهم ، فأراد الله سبحانه وتعالى أنْ يُجري لهما الأجور حتَّى بعد وفاتهم ، فقيَّض من يتكلَّم فيهم ، من يطعن فيهم ، من يسبَّ ، من يشتم ،كلُّ ذلك في نصيبهم يوم القيامة بإذن الله جلَّ في عُلاهُ .

حَسَدُوْا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوْا سَعْيَهُ *** فَالقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُوْمُ
كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا *** كَمَداً وَغَيْظاً إِنَّهُ لَدَمِيْمُ

هكذا يصنعُ الحُسَّادُ من النَّاس لاسيَّما إذا رأوا الرَّجل فُتِحَ عليه في العلم ، فُتِحَ عليه في الدَّعوة ، فُتِحَ عليه في الجِّهاد ، تشرئبُّ أنوفُ أولئك وتبزغ رؤوس أولئك وتطالُ ألسنتُ أولئك كلَّ حسنةٍ في هذا الرَّجل ، يتكلَّمون فيه ولازالوا يتكلَّمون ، ونحن عندما نُسلِّطُ الضَّوء على أمرٍ يسيرٍ وصفحاتٍ مُضِيئةٍ من صفحات ذلك الإمام ، إنَّما نأخذ منها العِبر والفوائد، والفرائد الَّتي تتكرَّ لأنَّه كما قيل : التَّاريخُ يُعيدُ نفسه وما أشبه اللَّيلة بالبارحة ، فنجدُ اليوم من المصلحين ، من الخيِّرين ، من المؤمنين ، من المسلمين ، من المجدِّدين ، من يُتناول بكلِّ نقيصةٍ ، بكلِّ سيئةٍ ، يُتكلَّمُ عليه في وسائل الإعلام المُختلفة بأنواعها ، المسموعة والمرئيَّة والمقروءة ، يتكلَّمون ويتسابقون للطَّعن في كلِّ مصلحٍ .

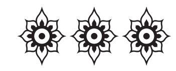
لِمَا ؟

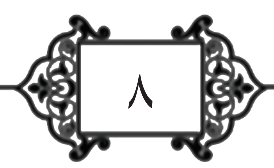
حتَّى يقفوا كسدٍّ منيعٍ دون دعوته، ودون انتشار تلك الدَّعوة بين النَّاس، ولكن.....

﴿ إِنَّهَمْ يَكِيْدُوْنَ كَيْدَاً ، وَأَكِيْدُوْا كَيْدَاً ﴾

﴿ وَمَكَرُوْا وَمَكَرَ اللهُ ﴾

﴿ وَيَمْكُرُوْنَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِيْنَ ﴾





هو الشَّيخُ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سُليمان بن عليٍّ التَّميميّ ، من قبيلةِ بني تميمٍ ، هذه القبيلة الَّتي وردَ عن النَّبيِّ الأمين ﷺ عددٌ من الأحاديث في الثَّناء عليها ، على الصَّالحين منها .

الشَّيخ محمَّد رحمه الله ولدَ عام خمسةَ عشر ومائة وألف للهجرة .

نشأ وترعرع في بيت صلاحٍ وعلمٍ وتُقى وخيرٍ ، فلم تقع عينه إلَّا على عابدٍ أو قاضٍ أو طالبِ علمٍ ، فجَدُّه سليمان هو من علماء عصره ، وأمَّا أبوه عبد الوهَّاب فهو أحد القضاة الشَّرعيين الَّذين يحكمون بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ آنذاك بين النَّاس ، وأمَّا عمُّه فكذلك كان من أهل العلم ، وهكذا نشأ في بيئة علمٍ وصلاحٍ .

إذاً لا يُستغرب على أمثاله أنَّه يحفظ القرآن دون العاشرة من عمره، لم يذهب إلى الكتاتيب ، لم يذهب إلى الأشياخ لكي يحفظ عليهم وعنهم القرآن ، وإنَّما حفظه في بيته على يدِ أبيه العالم عبدُ الوهَّاب بن سليمان .

فبيتُ الشَّيخ كان هو المدرسة الأولى للشَّيخ رحمه الله، وبذلك نوصي الآباء والأمَّهات أنْ يجعلوا بيوتهم مدرسةً لتعلُّمٍ وتعليم الأبناء والبنات العقيدة الصَّافية الصَّحيحة ، تعليمِهم القرآن الكريم ، السُّنَّة النبويَّة ، الأخلاق الإسلاميَّة إلى غير ذلك .

لمَّا بلغ الشَّيخ السَّادسة عشر من عمره قدَّمهُ أبوه ليأُمَّ بالنَّاسِ ، إذْ أنَّه رآهُ أهلاً للإمامة فقدَّمه ليأُمَّ بالنَّاسِ في تلك السِّنِ المبكِّرة .

منذ نعومة أظفاره عكفَ على الكتب ، لاسيَّما كتب السُّنَّة ، كصحيح البخاري ، كمسند الإمام أحمد ، كموطَّأ الإمام مالك رحم الله الجَّميع ، عكفَ عليهم كي يستقي من نور النُّبوَّة الصَّافي الَّذي لا يُعكر بشيءٍ ، يتعلَّم من هدي النَّبيِّ ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ .

كذا اِنكبَّ على كتب السَّلف رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، لاسيَّما على كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله وعلى كتب شيخ الإسلام الثَّاني العالم الربَّاني ابن قيِّم الجَوزيَّة رحمه الله .
هؤلاء الرَّجُلان ابن تيميَّة وابن القيِّم قد لخَّصا عقيدة السَّلف في كتبهم ، قد لخَّصا ما جاء عن السَّلف رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ، فالمطالعة لهم والقراءة لهم والتَّتلمذُ على كتبهم يفيد الإنسان أيَّما فائدة ، إذْ أنَّه طريقٌ مختصر لبوابة علم سلف الأمَّة رضي الله عنهم وأرضاهم ، ولا نحصر ذلك في هذين الإمامين حاشا وكلَّا وإنَّما نقول : الطَّريقُ المختصر ، وليس هو بالطَّريق الكامل فكلٌّ يأخذ من قوله ويردُّ إلَّا النَّبيَّ ﷺ كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله .

ثُمَّ كما أنَّه أخذَ من بطون الكتب، كذلك أخذ من صدور الرِّجال، فتتلمذ على الشَّيخ عبد الرَّحمن بن أحمد ، كما تتلمذ على يدِ الشَّيخ حسَّان التَّميمي وذلك في نجد مَحِلَّةَ الشَّيخ رحمه الله .

ثُمَّ بعد ذلك لم يلبث إلا ورحل لطلب العلم الشَّريف ، وما من عالمٍ وما من إمامٍ إلَّا وله رِحلة في طلب العلم الشَّريف ، وصنَّف الأئمَّة في ذلك التَّصانيف منهم :

الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله صنَّف في الرِّحلة في طلب العلم .

كيف لا ؟ وجابر بن عبد الله رضي الله عنه وعن أبيه يرحل شهراً كاملاً لأجل حديثٍ واحد من أحاديث رسول الله ﷺ كما روى ذلك الإمام البخاري رحمه الله .

هكذا صنع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله ولم يكن بمعزل عن بقيَّة العلماء وعن بقيَّة الأئمَّة في الرِّحلة في طلب العلم الشَّريف ، رحلَ في عام ألف ومائة وستة وثلاثين للهجرة قاصداً بيتَ الله الحرام ، قاصداً الكعبة المشرَّفة ليحجَّ وبعد ذلك يلتقي بعلماء الحرم وشيوخ الحرم المكِّيِّ ويتلقَّى عنهم العلم .

فالتقى ببعضهم ودرس عليهم وعرض عليهم ما عنده ثُمَّ رحل إلى المدينة لكي يتلقَّى عن شيوخها ويأخذ عن أشياخها وعن علمائها وفقهائها ، من جملة من اِلتقى بهم وأخذ عنهم :

الشَّيخ محمَّد بن حياة السِّندي ، وهو من علماء الحديث رحمه الله .

كذا الشّيخ عبد الله بن إبراهيم المدني ، أيضاً اِلتقاه الشَّيخ وأخذ عليه بعض أبواب العلوم الشَّرعيَّة .

ثُمَّ عاد الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب إلى نجد ، إلى العُيينة حيثُ مَحِلَّة الشَّيخ رحمه الله ونشأ الشَّيخ فيها .

ثُمَّ بعد ذلك رحل إلى العِرَاق - نسأل الله أنْ ينصر إخواننا في العِرَاق - رحل إلى البصرة ليأخذ عن شيوخها وعن علمائها وعن فقهائها وعن قضاتها ، فاِلتقى من جملة من اِلتقى من العلماء هناك :

اِلتقى بالشَّيخ محمَّد المجموعي رحمه الله ، ودرس عليه وتتلمذ عليه والشَّيخ كما أنَّه يستفيد من أشياخه ، كذلك يُناصح أشياخه ويُفيد أشياخه ، فإنَّ العلم دُوْلَةٌ بين أصحابه ، والنَّبيُّ ﷺ كما عند أحمد قال : ((المؤمن مرآةُ أخيه)) ، فالشَّيخ رحمه الله كان مرآة إخوانه ، كما أنَّه كان مرآةَ شيوخه ومن باب أولى تلامذته وطلَّابه ، كما اِستفاد منهم يُفيدهم ببعض ما فتح الله عليه ، لاسيَّما في أبواب العقيدة والتَّوحيد .

فذكر لشيخه محمَّد المجموعي ما عنده من الدَّعوة المباركة إلى التَّوحيد الصَّافي وإلى ترك الشِّرك والتَّنديد بكلِّ صوره وبكلِّ ألوانه ، إذْ أنَّ ذلك العصر قد اشتهر وانتشر فيه الشِّرك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، كما سنعقِّب على ذلك بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فلمَّا تكلَّم مع شيخه بذلك اِرتأى شيخه ذلك وأعجبه ما طرحه التِّلميذ عليه .

وكما قيل : اثنان لا يحسدان ، الأبُ لا يحسد ولده مهما بلغ ، والشَّيخ لا يحسد تلميذه مهما بلغ .

فلمَّا ذاكره الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله امتثالاً لقولِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ، التَّواصي هو المبادرة من أكثر من طرف ، لا يكفي أنَّ شخصاً ينتصبُ للفُتيي والتَّذكير والأمر والنَّهي وللخطابة ولا يُذكَّر ، بل كما هو يُذكِّر كذا يُذكَّر ، كما هو يُوصِي كذا يُوصَى ، وبذلك يتكامل المجتمع المسلم ، لأنَّ الإيمان يزيد وينقص فإذا زاد إيمان زيد يُذكِّر عمراً ، وإذا زاد إيمان عمرو يُذكِّر زيداً وهكذا .

وجلَّ من لا يُخطىء ، فيخطىء زيد وقد يخطىء عمرو ، وقد يخطىء العالم وقد يخطىء طالب العلم وقد يخطىء العامِّي ، فعلى الجميع أنْ يُذكِّرَ بعضهم بعضاً ، والنَّبيُّ ﷺ لمَّا بلغه عن معاذ بن جبل وهو سيِّدُ العلماء كما لقَّبه بذلك النَّبيُّ ﷺ سيِّدُ الأنبياء ، هو سيِّد العلماء ومع ذلك أنكر عليه النَّبيُّ ﷺ وقال له : ((أفتَّانٌ أنت يا معاذ ؟!)) ، فإذاً التَّذكير من الجميع والذِّكرى تنفع المؤمنين .

نفعت الذِّكرى الشَّيخ محمَّد المجموعي ، شيخ الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، ولم يستحقر ذلك لأنَّه صدر من بعض تلامذته ، بل أذعن لذلك والحقُّ أحقُّ أنْ يُتَّبعَ، فأُعجِب بذلك وأقرَّ ذلك وصار مع الشَّيخ في ذلك .

ما لبثَ الشَّيخ في البصرة يدعو ويُذكِّر حول هذه المسائل إلا وقد اجتمع عليه المبغضون ، الشَّانؤون فطردوه من البصرة ، وحذَّروه وأنذروه .

فخرج الشَّيخ لا يلوي على شيءٍ ، خرج ليس عنده من الزَّاد ولا من الطَّعام ولا من الشَّراب ، خرج في الحرِّ الشَّديد ، في وقت الظَّهيرة يمشي لا يعلم إلى أين يتَّجه رحمه الله .

فمشى إلى أنْ قيَّض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له في وسط الطَّريق بين البصرة ومدينة الزُّبير رجلاً يُدعى ويُعرف بأبي حُميدان كان عنده بعض الماء وبعض الطَّعام وعنده الدَّابَّة وهي الحمار ، فلمَّا رأى الشَّيخ وعليه الوقار والهيبة ويبدو عليه العطش والتَّعب والنَّصب أتاهُ وأسعفه بالماء وأرواه من الماء وأعطاه من الطَّعام وأركبه على دابَّته وأخذ به إلى بيته إلى مدينة الزُّبير ، فمكث عنده الشَّيخ أياماً، ودعاه إلى دعوة التَّوحيد الصَّافية إذْ أنَّه ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ وأعظم ما تُقَدِّمُ لمن أحسن إليك الدِّينَ ، أعظم ما تُقَدِّمُ لمن أحسن إليك تُقدِّم العقيدة الصَّافية وتدلُّه على الطَّريقة الصَّحيحة الَّتي تركنا عليها النَّبيُّ ﷺ ، فإنَّ حسن العهد من الإيمان .

فهكذا صنع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب مع ذلك الرَّجل الذي أحسن إليه والَّذي لم يعرف بالتَّاريخ إلَّا في هذا الموطن فخلَّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكره بذلك ، لم يكن هو من العلماء ولم يكن من النُّبلاء ولا من السَّادة ولا من الرُّؤساء لكن من عامَّة المسلمين ومع ذلك ذُكِرَ في التَّاريخ بنجدته وبمروءته وبموقفه الحسن هذا .

فلمَّا دعاه الشَّيخ اِستجاب لذلك ، ثُمَّ بعد ذلك أراد الشَّيخ أنْ يُيَمِّمَ نحو الشَّام ليأخذ عن علمائها وفقهائها - نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنْ ينصر إخواننا في الشَّام - ولكن النَّفقة لم تَقُمْ بالشَّيخ لم يكن عنده من النَّفقة ما يبلِّغه الشَّام فرجع وعاد إلى نجد ، وفي طريقه إلى نجد نزل في الأحساء وفي الأحساء اِلتقى ببعض الشُّيوخ هناك ومن أبرزهم :

الشَّيخ عبد الله بن محمَّد الشَّافعي الأحسائي ، أخذ عليه الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ودرس عنده ، كما أنَّه أيضاً ناصحه في هذه المسائل العظيمة ، مسائل التَّوحيد الَّتي لا ينبغي أنْ تؤخَّر فإنَّ التَّوحيد يُنتقل معه إلى غيره ولا يُنتقل عنه إلى غيره .

ثُمَّ بعد ذلك رجع إلى نجد وفي نجد بدأ الشَّيخ بدعوته المباركة لاسيَّما بعد وفاة والده عبد الوهَّاب ، ونجد آنذاك كانت طافحة بالشِّركيَّات، بالكفريَّات، بالخرافات ، في كلِّ زاويةٍ تجد ضريحاً ، تجد قبراً يُزار ويدعا من دون الله تعالى ويُستغاث به ويُذبح له ويُطاف عليه إلى غير ذلك من صور العبادة الَّتي لا ينبغي أنْ تصرف إلَّا لله جلَّ في عُلاه ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴾ ، ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * لَا شَرِيْكَ لَهُ ﴾ .

كانت نجد آنذاك ممتلئةً بذلك ، والنَّاس يطوفون على القبور ويدعونها من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وكما قيل : كم من قبرٍ يُزار ، وصاحبه في النَّار ، والعياذ بالله .

هنالك من النَّاس من يستغيثون بمن ؟
لا يملك لنفسه لا ضراً ولا نفعاً وهو من الصَّالحين ، وهناك أُناس يستغيثون بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وهو من الطَّالحين .

هناك من يدعو الأولياء والأنبياء وهذا شِركٌ من دون الله ﷻ، وهناك من يدعو المشركين ، الدَّجَّالين ، السَّحرة ، الكهنة من دون الله ﷻ، وهذا شِركٌ، ولكن هذا الشِّرك أخبث من ذلك الشِّرك كما قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله كما في كشف الشُّبهات .

هناك أُناس في عهد الشَّيخ كانوا يتبرَّكون بالأشجار وبالأحجار ويدعونها من دون الله ﷻ ، كانوا يحجُّون إلى بعض النَّخيل ويضربون لها أكباد الإبل ، ويرحلون لها يستغيثون بها من دون الله ﷻ .

فكانت هناك بعض النَّخيل الَّتي تعبد من دون الله آنذاك ، كانت المرأة تأتي إلى نخلة من النَّخيل من الفحول وتقول : يا فحل الفحولِ ارزقني زوجاً قبل الحَوْلِ ، والعياذ بالله ، وكانت هكذا النِّساء تصنع إلَّا من رحم الله منهنَّ وقليلٌ ما هنَّ .
فقام الشَّيخ بدعوته المباركة ، قام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، باللِّسان والبيان كما قام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر باليد وبالتَّغيير باليد ، فأَوكل لبعض النَّاس وأعطاهم أموالاً من جيبه لكي يقطعوا تلك الأشجار ، قاموا بذلك خِلسةً ثُمَّ قام هو بنفسه وعمد إلى فحل الفحول ذاك ، الَّذي لا ينفع ولا يضر من دون الله شيئاً وقطعه بنفسه .

خرج ليلاً في خِلسةٍ من النَّاس وقام بقطع ذلك الوثن الَّذي يعبد من دون الله ﷻ ، اقتداءً بشيخ المِلَّة إبراهيم عليه السلام لمَّا حطَّم الأصنام، اقتداءً بمحمَّد ﷺ سيِّد الأنام لمَّا حطَّم الأصنام في الاستضعاف قبل التَّمكين ، النَّبيُّ ﷺ كما روى ذلك أحمد والبزَّار وغيرهم عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أنَّه خرج خِلسَةً من أمرِ قريشٍ في مكَّة في زمن الاستضعاف في العهد المكِّيِّ ، خرج إلى صنمٍ فوق البيت وقال لعليٍّ : ((اجلسْ))، فجلس عليٌّ، فصعد النَّبيُّ ﷺ على كتفيه فأراد أنْ ينهض عليٌّ فوجد النَّبيُّ ﷺ منه ضعفاً ، فنزل النَّبيُّ ﷺ وجلس لعليٍّ وقال : ((يا عليُّ ارتقِ واصعدْ))، فصعد عليٌّ على كتفي النَّبيِّ ﷺ -أكرمَ الخلق- ونهض به النَّبيُّ ﷺ حتَّى تسوَّر عليٌّ البيت الحرام، فقال له النَّبيُّ ﷺ :
((هِيهْ زاوله يا عليُّ)) ، فأخذ يزاوله يمنةً ويسرةً حتَّى استطاع عليه، قال : ((ارمِ به يا عليُّ)) ، فرمى به فتكسَّر ، فنزل عليٌّ والنَّبيُّ ﷺ فركضا وتوارا بين البيوت حتَّى لا يراهم أحد ، ﷺ ، وأخرجه بعض من أخرجه كالطَّيالسي في باب تكسير الأصنام ، وصحَّحه الحافظ أحمد شاكر رحمه الله .

نقول أنَّ النَّبيَّ ﷺ كسَّر الأصنام في زمن الاستضعاف كما كسَّرها في زمن التَّمكين لمَّا مكَّنه الله ﷻ ، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ، أخذ النَّبيُّ ﷺ بعودٍ يشير به عليها ويردِّد قول الله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ، هكذا صنع النَّبيُّ ﷺ مع تلك التَّماثيل ، مع تلك الأصنام ، كذا صنع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله اقتداءً بهدي النَّبيِّ ﷺ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ .

ثُمَّ لمَّا تصاعد أمره رحمه الله في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، تسوَّر البعض بيته ليقتل الشَّيخ وكان الشَّيخ من قضاء الله وقدره لم يكن ثَمَّ في البيت فلمَّا علم بذلك خرج من تلك القرية إلى قريةٍ مجاورةٍ من قرى نجدٍ ومكثَ فيها ، وأيضاً أخذ يأمر وينهى وعلم ببعض الأضرحة آنذاك لبعض الصَّحابة رضي الله عنهم كالَّذي يُنسب لزيد بن الخطَّاب رضي الله عنه ولضرار بن الأزور رضي الله عنه ولغيرهم ، فقام الشَّيخ بمن معه وقد تكوَّنت عنده مجموعةٌ لتحطيم تلك الأوثان الَّتي تعبد من دون الله سبحانه وتعالى .

ظهر أمر الشَّيخ شيئاً فشيئاً ، ظهرت دعوته شيئاً فشيئاً إلى أنْ جاءت له امرأةٌ واعترفت على نفسها بالزِّنا وأنَّها امرأةٌ مُحْصَنَةٌ وَزَنَتْ ، وَأَمَرَت الشَّيخ وطلبت من الشَّيخ أنْ يُقيم عليها الحدَّ وهذا الحدُّ من أشدِّ الحدود ومن أعظم الحدود في دين الله تعالى ، وهو الرَّجم -رجم الزَّاني المحصن- فكرَّر الشَّيخ عليها وكرَّرت الإقرار على نفسها ، قال : لعلَّكِ ولعلَّكِ ، لعلَّكِ كُنتي وكُنتي ، لعلَّكِ لم تفعلي كذا لم تفعلي كذا وهي تُقِرُّ على نفسها بالزِّنا .
فقام الشَّيخ ومن معه ورجمها ، فلمَّا أقاموا حداً من حدود الله قامت الفضائيَّات ، قامت قناة العربيَّة وقناة الحريَّة وفلان وفلان ألَّبوا على الشَّيخ آنذاك ، ولم تكن آنذاك تلك القنوات ولكن لكلِّ زمان رجاله كما أنَّ لكلِّ زمان دجَّاله الذين يُلبِّسون على النَّاس الحقائق ويظهرون للنَّاس أنَّ الإسلام هو الكفر وأنَّ الكفر هو الإسلام ، وأنَّ السُنَّة هي البدعة وأنَّ البدعة هي السُنَّة ، وأنَّ المعصية هي الطَّاعة وأنَّ الطَّاعة هي المعصية ، وأنَّ التَّوحيد هو الشِّرك وأنَّ الشِّرك هو التَّوحيد وهكذا يتلاعبون في المصطلحات كما صنع سيِّدهم الأوَّل إبليس لمَّا غيَّر اسم شجرة الحرمان إلى شجرة الخلود ، هكذا يتلاعبون في المصطلحات في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكان .

النَّبيُّ ﷺ كما صحَّ عنه في الحديث الذي رواه الإمام الحاكم قال عن آخر الزَّمان : ((يأتي قومٌ يشربون الخمر يسمُّونها بغير اسمها)) ، هكذا يسمُّون المصلحين بالمفسدين ، يسمُّونهم بالخوارج يسمُّونهم بالإرهابيين وكذا وكذا كما يسمُّون المفسدين بالنِّجوم والمشاهير وبكذا وكذا من الأمور اللَّامعة ترقيعاً لباطلهم وفسادهم وخديعةً للنَّاس في أمر دينهم .

قام النَّاس آنذاك وشوَّهوا سمعة الشَّيخ ، وشوَّهوا دعوة الشَّيخ ، وتكلَّموا عليه حتَّى خاف من معه من أهل تلك القرية على أنفسهم فطردوا الشَّيخ من تلك القرية من قرى نجد ، فخرج الشَّيخ إلى الدِّرعيَّة يمشي في حرٍ شديد وعنده مروحة من الأمور البدائيَّة الَّتي صُنعت بها كان يتروَّح بها رحمه الله ويقول ويردِّد : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، ويردِّد بالتَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح إلى أنْ وصل الدِّرعيَّة ، هناك نزل في بعض بيوت الأكارم من أهل النَّجدة والمروءات فكلَّمه الشَّيخ بدعوة التَّوحيد ونفي الشِّرك والتَّنديد فاستجاب ذلك الرَّجل له .

وكان من أمر ذلك الرَّجل الطَّيِّب أنْ أرشد الشَّيخ إلى أمير الدِّرعيَّة ، قال : إنْ استجاب لك فأبشر وهو الشَّيخ محمَّد بن سعود .

فذهب وأراد الشَّيخ أنْ يُناصح ذلك الأمير وكان من أمر ذلك الرَّجل الذي نزل به أنْ دعا أخ محمَّد بن سعود وناصحهُ وذكَّره فاستجاب وبلغ ذلك أيضاً إلى زوجة الأمير ونُصحت فاستجابتْ ثُمَّ تكلَّم أخ الأمير وزوجة الأمير مع الأمير بذلك ، وأنَّ هذا الشَّيخ العالم قد أتاك مطروداً لا يلوي على شيء إنَّما أُخرج وإنَّما أُوذي لله وفي سبيل الله فانظر ماذا يريد .

فهمَّ أنْ يدعو الشَّيخ إليه فقيل له : لو تذهب إليه لكان إكراماً وإجلالاً له، فذهب هو بنفسه رحمه الله إلى الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله، فسمع منه وتكلَّم الشَّيخ وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأعظم المعروف هو التَّوحيد كما أنَّ أعظم المنكر هو الشِّرك والتَّنديد فأمر ونهى وذكَّر وحذَّر رحمه الله فاستجاب الشَّيخ محمَّد بن سعود لدعوته وقال : أبشر بالعزِّ والتَّمكين ، أبشر بدارٍ خيرٍ من دارك وبأهلٍ خيرٍ من أهلك وبموطن خيرٍ من موطنك ، وقال له الشَّيخ : وإنِّي أُبشِّرك بالعزِّ والتَّمكين بحول الله تعالى فإنَّه لم يأخذ هذه الكلمة بحقِّها -لا إله إلا الله- أحدٌ إلَّا أعزَّه الله وإلَّا أظهره الله على خصومه وعلى مناوئيه ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

فقال الشَّيخ محمَّد بن سعود للشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب : أخشى إنْ أظهرك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنْ ترجع إلى بلدتك وتتركنا ، فقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب : بل الدَّم الدَّم والهدم الهدم ، ابسط يدك أُبايعك .

وهاهنا اجتمع البيان مع السُّلطان ، هاهنا اجتمع القرآن مع السِّنان ، وكما قال عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه : إنَّ الله ليزع بالسُّلطان ما لا يزعُ بالقرآن .

وعند ذلك مضت الدَّعوة المباركة وانتشرت وأظهرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على كافَّة مدن نجد، على الرِّياض والقصيم وغيرها ، فحكموا فيها الشَّريعة ونبذوا فيها الشِّرك بكلِّ صوره سواءً ما يتعلَّق بشرك القبور أو ما يتعلَّق بشرك النُّذور والدُّثور نبذوه جميعاً ، الحكم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كلِّ صغيرٍ وفي كلِّ كبير ، كذا لا يُدعا إلَّا الله ، لا يُستغاث إلَّا بالله ، لا يُذبح إلَّا لله وهكذا في سائر أنواع العبادة لا تُصرف إلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

مكثَ الشَّيخ على ذلك في الدِّرعيَّة يدعو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويُذكِّر وكان من تلامذته :

ابنه حسين بن محمَّد بن عبد الوهَّاب وابنه علي بن محمَّد بن عبد الوهَّاب ، وتأملوا من أبناء الشَّيخ حسين وعلي وحسن وفي ذلك تكذيب لمن يطعن في الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ويقول إنَّه يُعادي أهل البيت وأنَّه يبغض آل بيت النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعياذ بالله .
ها هو يُسمِّي فلذات كبده بأسماء أولئك العظماء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم ، علي والحسين والحسن ، سمَّى أبنائه بتلك التَّسميات .

فإذاً من تلامذته :
الحسين ابنه وكذا علي ابنه وعبد الله ابنه وإبراهيم ابنه ، كذلك من تلامذته حسين بن غنَّام الذي جمع ترجمة الشَّيخ في كتاب عظيم يرجع له من شاء ذلك .
كذلك من تلامذته :
حمد بن ناصر ، كذلك سعود بن عبد العزيز بن محمَّد بن سعود وغيرهم من التَّلاميذ الَّذين استفادوا على الشَّيخ رحمه الله رحمةً واسعةً في بيته في الدِّرعيَّة الَّذي يُعرف بوكر التَّوحيد حيثُ كان في ذلك البيت يُقرأ فيه من الدُّروس العلميَّة الشَّرعيَّة طرفي النَّهار وفي وسط النَّهار يُعَلَّمُون الفنون القتاليَّة وعلم الحروب وما إلى ذلك ، فجمعوا بين التَّوحيد وبين الحديد ، بين القرآن وبين السِّنان وانتشرت دعوة الشَّيخ بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شرقاً وغرباً لا أقول في حياته بل بعد موته ووفاته .
وكما قال الإمام مالك رحمه الله : ما كان لله بقى .
نحسبه والله حسيبه أنَّه كان من رموز التَّوحيد ، كان من المجدِّدين لهذه المِلَّة السَّمحاء .

وترك رحمه الله من الكتب والمؤلَّفات والرَّسائل الشيء الكثير منها :

كتاب التَّوحيد الَّذي هو حقُّ الله على العبيد ، ومنها كتاب مختصر سيرة الرَّسول ﷺ وهو اختصار لسيرة ابن هشام كما أنَّ سيرة ابن هشام اختصار لسيرة ابن اسحاق ، كما له اختصار زاد المعاد للإمام ابن القيِّم رحمه الله ، كما له كتاب الكبائر وغيرها من الكتب وله منها رسائل كشف الشُّبهات وله الأصول الثَّلاثة وله القواعد الأربع وله غير ذلك من الرَّسائل النَّافعة الَّتي أغلبها إنَّما هي في التَّوحيد وإنَّما هي التَّحذير من الشِّرك والتَّنديد وله رسائل في الفقه وفي غير ذلك من المسائل ولكن الجُهد الجَهيد إنَّما هو كان في التَّوحيد .

وإنَّما يعرف علم العالم بأحد أمرين أو في كلاهما : إمَّا بتلامذته وطلَّابه وإمَّا بمؤلَّفاته وكتبه ومصنَّفاته .

فهؤلاء هم بعض تلامذة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ممَّن اصطفيناهم لكم ، وكان له الصِّيت في التَّدريس والتَّعليم لاسيَّما تلميذه النَّجيب وهو حفيده عبد الرحمن بن حسن بن الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب شارح كتاب التَّوحيد صاحب فتح المجيد رحمه الله رحمةً واسعةً ، ولاسيَّما ابنه حسين كان أيضاً من العلماء البارزين آنذاك وكذا ابنه عبد الله وغيرهم ممَّن سمَّيناهم لكم .

أمَّا مؤلَّفاته فهي بين أيديكم تقرأونها وتتدارسونها بين فينةٍ وأُخرى وتسمعون الدَّروس من الشَّيوخ في الشَّرق والغرب يُركِّزون عليها ويُذكِّرون بها ويُدرِّسونها لغيرهم من تلامذتهم ومن إخوانهم ومن طلَّابهم لعلَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ ينفع بها العباد والبلاد .

هذه إشارات يسيره وإضاءات قليلة على سيرة ذلك الإمام المجّهبذ العلّامة محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله رحمةً واسعةً .

والله تبارك وتعالى أعلم وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وجزاكم الله خيراً .



فهرس المحتويات



لا تنسونا من صالح دعائكم

ذو الحجة ١٤٤٠